6

الصيد

لصورة الصيد تاريخٌ قديمٌ في الجزيرة العربية قبل الإسلام وغرب آسيا ومصر. فالنقوش العربية على الصخور لرماة السهام وطرائدهم والنقوش الحجرية للملوك الآشوريين Assyrian Kings وهم يصطادون من العربات، واللوحات الجدرايّة المصرية لرجال يصطادون الطيور، تشهد كلها على الأهمية الحقيقية والرمزية للصيد. وهناك نوعان من الصور شكَّلت نماذج مباشرة للتصوير الإسلامي للصيد. تحتوي النقوش على الجدران الحجرية في تقي بستان Taq-i Bustan، في إيران، وهو موقع ساساني(63) Sasanian site، على صورة بانورامية شاملة لصيد خنزير بوجود الملك الذي يُفترض أنه خُسرو الثاني(64) (591 Khusrau II–628) مطلقاً سهاماً من قارب، وعلى صيد غزال، إذ يظهر مع أصغر معاونيه وهما يطاردانه عبر السهل، ضمن مكان مسيَّج. وبالعكس، فإن الأطباق الفضية التي تعود إلى العهد الساساني وبدايات العهد الإسلامي تظهر الملك راجلاً أو على عربة، وهو وحده في معركة ضد الطريدة. وفي القرن التاسع زيَّنت صور صيادي الصقور على ظهور الخيل جدران بناء في نيسابور Nishapur في إيران. وفي سامراء(65) Samarra، رسمت عملية صيد أسد على جدار قاعة اجتماع للجمهور. ولكن في هذه القرون الأولى للإسلام، كانت رسومات الفرسان على الخزفيات تدل على أنهم مقاتلون أكثر من كونهم صيادين، وكانت صور الصيد البانورامية الشاملة غائبة بشكل عام.

ومع ظهور الخلافة الشيعية المنافسة للدولة الفاطمية في شمال إفريقيا ومصر (من عام 909 إلى عام 1171)، فإن صورة صياد الصقور

تفصيل من قارورة الحاج، سوريا، 1340–1360. زجاج مُذهَّب ومطلي بالمينا.
على كتف القارورة صياد يعتلي فرساً ويغرز الرمح بذئب، في حين يهرب منه أرنب بري. وهذه الوضعية تعيد إلى الذاكرة لوحة القديس جورج والتنين.

الممتطي الفرس أعادت تأكيد نفسها بالظهور على الخزفيات المزجَّجة اللامعة. وتحت حكم الأيوبيين، وخلفاء الفاطميين، وأتابكة الموصل أصبحت صورة الصياد على ظهر الخيل ذات جذور أقوى في البرنامج العادي للصورة الملكية التي وجدت بشكل أكبر على الأعمال المعدنية المرصَّعة والزجاج المطلي بالمينا واللوحات الخشبية المنقوشة. وتعرض لوحات الصيادين هذه، مع أنها أحياناً تخطيطية، تشكيلة من الطرق ونماذج اللعبة. وعلى الرغم من أن السهام والنبال كانت مستخدمة بشكل شائع جداً، فإن الصيادين استخدموا الحراب والسيوف أيضاً، حتى إن بعض الصور تظهر الأولاد وهم ينفخون الحصى من أنابيب صغيرة لصيد الطيور.

وكانت الطبقة الملكية وأولئك الذين يستطيعون تحمل تكاليف الصيانة يصيدون بواسطة الصقور. ووفقاً لحجمها ونوعها، كانت هذه الصقور إما ناجحة في صيد الطيور الأخرى مثل طائر الكركي أو مفترسة ضعيفة الطيران وتطارد الثدييات. أما السلوقي (نوع من الكلاب الفارسية والعربية) فكان هو النوع الوحيد المقبول من الكلاب في الإسلام، وكانت تطارد الغزلان وغيرها من الأنواع المشابهة ذات القرون، لكن أكثر الحيوانات المستخدمة في الصيد تكلفة كان الفهد. وحالما يتم ترويض الفهد، يمكن أن يركب على ردف حصان الصياد، ويُطلق ليقوم بمطاردة الفريسة. وهو مدرب على ألا يأكل الفريسة،

ولو قام بهذا فلن يكون شرعياً أن يأكل الرجال من الفريسة ذاتها.

تحتوي رسومات المخطوطات الفارسية على العديد من مشاهد الصيد، إما لإظهار الصيادين المشهورين الأبطال، مثل بهرام غور(66) Bahram Gur ورستم Rustam، أو لأن واجهاتها تصوِّر الأمراء والملوك الذين أمروا بصنع المخطوطات التي تظهرهم يستمتعون بعملية صيد بانورامية شاملة. ومع احتمال أن تكون مشاهد صيد كبيرة ذات شخصيات متعددة قد رُسِمت على جدران القصور أو استراحات الصيد في الفترة ما بين القرنين 13 و 15، فلم تبقَ أي أدلة على ذلك. وتظهر مثل هذه الصور في رسومات الكتب في القرن الخامس عشر، أولاً في الشاهنامه Shahnameh عام 1430، التي أنتجت للأمير باي سونغور Baysunghur، وهو واحد من أحفاد تيمورلنك Timur، وتبعها في ستينيات القرن الخامس عشر مشهد مرسوم على صفحتين يُصِّور الحاكم التركماني Qaraqoyunlu؛ أوزون حسن(67) Uzun Hasan، ينزل على حصانه على واد منحدر جداً مع خدمه في مطاردة لأنواع مختلفة من الطرائد. في مثل هذه الواجهات التي ليست لها علاقة

بقصة الكتاب الذي وُضِعت فيه، من المفترض أن الراعي للرسم قد رُسم كما كان يتمنى أن يُرى. لقد كانت رجولة وقدرات أوزون حسن Uzun Hasan الصياد مرآةً تعكس قوته في ساحة المعركة، نظرياً على الأقل إن لم يكن فعلياً.

وبينما كانت التصاوير الفارسية في القرن السادس عشر لعمليات الصيد البانورامية الشاملة تجمع شخصيات وافرة، وتستعير الصور مع بعض الكتابات الحقيقية، كافح الرسامون المغول لإعادة إظهار كل تفاصيل عمليات الصيد التي وُصِفَت في مذكرات أو حكايات أباطرتهم. وتصوِّر اللوحات من أكبرنامه(68) Akbarnameh عمليات إخراج الطرائد من جحورها، حيث بنيت الأسيجة حول صفوف واسعة من الأرض من أجل محاصرة الطريدة، التي كانت تذبح بعد ذلك خلال عدة أيام. وفي وقت متأخر من القرن السابع عشر، تم تحويل الحادثة التي يقوم فيها جهانجير Jahangir بقتل أسد كان يهاجم أحد مرافقيه، إلى صورة أيقونية للإمبراطور وهو يتغلب على ملك الوحوش- وهو رمز عمره آلاف السنين.

تفصيل من قارورة الحاج.
يقوم صياد حاسر الرأس ومطوق بهالة ويلبس رداء مطرزاً من على سرجه ليضرب أسداً بالقوس والنشاب. وخلفه توجد شجرة بتدريجات متعددة من اللون الأخضر، ويطير طائر أزرق كبير نحو اليسار. والصياد الآخر المرسوم على هذه القارورة يرتدي قبعة إفرنجية.

تفصيل من إبريق «بلاكاس Blacas».

أطلق هذا الصياد الفارس للتو سهماً على ذئب. لقد لوى هذا الصياد جذعه وهو يحمل سهمين في يده اليمنى ليتمكن من إصابة الذئب الذي صعد إلى ظهر الحصان. تعيد هذه الوضعية إلينا «الرمية الوداعية **Parthian shot**»(69) القديمة، التي يقوم فيها الصياد أو الجندي بإطلاق السهم على الفريسة خلفه في حين يعدو حصانه نحو الأمام. وتظهر الصورة ضمن شكل من ثمانية فصوص على جانب الإبريق، بالإضافة إلى تسعة مشاهد أخرى عن الصيد والقتال وعزف الموسيقى وحياة القصر.

تفصيلان من إبريق «بلاكاس Blacas».
اليمين: يرافق الصياد الفارس فهده المدرب وهو راكب على ردف الحصان. كان الفهد يستخدم للصيد منذ القديم، ويكلف تدريبه والحفاظ عليه ثروة كبيرة، كما يتطلب صبراً عظيماً من طرف صاحبه. وبينما يركض كلب صغير قرب الحصان، فإن الفهد جاهز لينقض على الغزال في الخلف.
فوق: يصوِّب الصياد الجاثي نحو بطة، وتظهر اثنتان قد سقطتا من قبل.